وحصل لسبب انتخابه خصام شديد بين الاساقفة . ولمّا استلم عصا الرعاية جعل يتحامل على الاكليرس ويرسم اساقفة من دون تروٍّ فالتأم عام ٣١٧ تسعة اساقفة وجملة من الاكليرس يتقدّمهم شمعون برصباعي وتداولوا في المسألة فقرّ رأيهم على عزله ونصب مار شمعون بدلاً منه فامتعض قافا ايّ امتعاض واحتدم غيظاً واتّقد فضرب الانجيل بيده وقال: « تكلّم أيها الانجيل عوضاً عني فقد ضاق ذرعي عن المدافعة » فبست يده للحال واتّفق الاساقفة على حطّه وعزله . فاستغاث باساقفة المغرب فالتمسوا من قسطنطين الملك ان يساعده فأوفد رسولاً الى شابور الملك يوصيه به . وكتب اساقفة المغرب ايضاً الى اساقفة المشرق في ان يؤدّوا الطاعة للجاثليق حرصاً على الاتحاد والوئام . وتوفّي قافا نحو سنة ٣٢٩ طبقاً لما كتبه مشيحا زخا عن يوحنان اسقف حديايب الذي شخص الى المدائن في تلك السنة لانتخاب خلفٍ لقافا (١

قصائد الخليفة يزيد بن معاوية

نظر انتقادي لحضرة الاب هنري لامنس اليسوعي

قد توفّق احد العلماء الالمان المسيو پول شوارتس المعروف بمنشوراته الشرقيّة كثيرٍ لديواني عُمر بن ابي ربيعة ومعن بن اوس مع ترجمتهما الالمانيّة الى اكتشاف مجموع مخطوط وجدهُ في مكتبة الاسكوريال الغنيّة بآثارها العربيّة . فسُرَّ به اذ وجد ضمنهُ اثنتي عشرة قصيدةً او قطعةً من منظومات الخليفة يزيد الاوّل بن معاوية وثاني خلفاء بني اميّة فاسرع الى نشرها ونقلها الى الالمانيّة وصدّرها بمقدّمة مطوّلة في ٢٣ صفحة بحث فيها عن يزيد وعن صفاته الشخصيّة ثمّ عن شعرهِ (٢

فسرّنا النظر في الكتاب ووجدنا انّ المؤلف الاديب يوافقنا في ما كتبنا عن

---

١) اطلب هنا الحاشية الاولى من الصفحة ١٨٨

٢) اطلب هذا الكتاب المنون P. Schwarz: Escorial-studien zur arab. Literatur u. Sprachkunde, pp. 28-72, I, 1922, Stuttgart, Kohlhammer. Prix Mark, or. 1,50

يزيد في تأليفنا الاوّل عن معاوية والدهِ (١ (ص ٣٢٥–٤٤٨) ثمَّ شفعناهُ بكتاب منفرد عن يزيد (٢ . وقد اخذنا العجب لضربهِ الصفح عن كتاباتنا وكأنهُ يجهلها على انَّ في سكوتهِ فائدةً حيث لا يستطيع احدٌ ان ينسب اليهِ التأثُّر من مؤلفاتنا فبلغ الى ذات نتائج ابحاثنا مستندًا مثلنا الى الكتبة القدماء الذين استقينا قبلهُ من مواردهم

همُ الكتبة العراقيُّون الذين شنَّعوا يزيد فنبزوهُ بالكافر وبسفَّاك الدماء وذلك بغضاً بالشام . وكمثلنا قد زيَّف المسيو شوارتس هذه الاشاعات الكاذبة والاوهام التاريخيَّة الباطلة . نعم انَّ يزيد لم يبلغ مبلغ والدهِ معاوية في مجاراة الزمان وفي صفاتهِ السياسيَّة الممتازة لكنَّهُ كان متَّصفاً بمزايا الملوك وقد اشبه في ذلك اباهُ معاوية . ولا يجوز ان تُنسب اليهِ النوائب التي وقعت في عهدهِ وانَّما حصلت لسوء احوال تلك الازمنة . وقد عاجلهُ الموت فلم يسمح لهُ ان يضمّد الجراحات التي علَّمها اهل البادية في العراق وفي جزيرة العرب ببطرهم واستعصائهم على اوامرهِ

امَّا بلاد الشام فكانت في ايَّامهِ تتمتَّع بنعمة الراحة والخصب كما كانت في زمن ابيهِ ولذلك قد حفظت لهُ ذكرًا طيِّباً . ولو شاء القرَّاء ان يتحقَّقوا صدق قولنا فما لهم الَّا ان يراجعوا ما اثبتناهُ عن اوثق الكتبة في تأليفنا المذكور وما أتى بهِ اليوم المسيو شوارتس في الكتاب الذي اصدرهُ حديثاً . فبهذه الادلَّة الواضحة سيتلقَّاها السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي في دمشق بملء الرضى وان ساءت كتبةَ مجلَّة العرفان الَّا انَّ للتاريخ حقوقاً تعلو ولا يُعلى عليها مهما قامت في وجهها الاوهام

*

هذا ثمَّ انَّهُ لمن الامور الشائعة حبُّ الخليفة يزيد الشعر واكرامهُ للشعراء وبذلهُ المال في مجازاتهم . لا بل قد افادنا صاحب الاغاني ابو الفرج الاصفهاني عن بعض منظوماتهِ التي نشر منها مثالًا وخصوصاً البيتين اللذين قالهما عند حصار جيش معاوية ابيهِ للقسطنطينيَّة (الاغاني ١٦ : ٣٣) فلا نرى موجباً لنتكر صحَّتهما كما فعل المسيو شوارتس فان يزيد انشدهما في ساعة غلب عليهِ القصف والطرب ليس تحتهما كبير امر

ثمَّ انَّ المسيو شوارتس يتخطَّى الى ذكر القطع الشعريَّة التي وجدها في مخطوطة

١) نُشرتْ هذا العنوان Etudes sur le règne du Calife Moawiah, *Impr. Cath.*

٢) وهذا عنوانهُ Le Califat de Yazid 1er, *Impr. Cath., pp. 531*

الاسكوريال حيث تُنسب الى يزيد فيعمى الى اثبات صحّتها . واني قد دقّقتُ فيها النظر وعلى الرغم من رغبتي في وجود شيء من شعر ذاك الملك الجليل بقيتُ مرتاباً في حقيقتها

انَّ المقاطيع التي اوردها المسيو شوارتس عن نسخة الاسكوريال تدخل في بابَي الخمريّات والنسيب . فامّا الخمريّات فانّنا نعلم ان يزيد كان يعتقر الخمرة مع ندمائهِ ويعرف مسا لخمور لبنان والشام من المزايا الطيّبة الّا انَّ بعض ما يُنسَب اليهِ من الاقوال في هذه المقاطيع يُريبنا كقولهِ في القطعة الثانية :

ما حرَّم اللهُ يُشربَ الخمرَ عن عبثٍ منهُ ولكن يُسَرُّ مودعٌ فيهـا (١
لمّا رأى الناسَ أضحوا مغرَمين بهـا وكلّ فنٍّ خووهُ (٢ من معانيهـا
اوحى بتحريمِهـا خوفاً عليهِ بأن يُضحُوا لها سُجَّدًا من دونِ تيهـا

وفي النسيب المرويّ عن ابن معاوية ما يزيدنا ريباً في صحّتهِ فقد جاء في القطعة العاشرة :

وانا ابنُ زَمْزَمَ والحطيمِ ومولدي بأعلاءِ مكّةَ والمحلّةُ يثربُ

فانَّ هذا ما يخالف بتاتاً احوال يزيد فانّ يزيد وُلد في بلاد الشام ولم يسكن مطلقاً المدينة فهل يمكنهُ ان يجهل تاريخ حياتهِ . وهذا ياقوت قد روى في معجم البلدان (٤ : ٥٠٠) بعض هذه الابيات الّا انهُ لم يروِ البيت المذكور . ولا بُدَّ من القول انهُ مصنوع

ثمَّ نرى ايضاً بين تلك المقاطيع شيئاً من التصنّع والتخنُّث لا ينطبق مع متانة الشعر القديم وطبيعتهِ كما ترى في شعر الاخطل نديم يزيد وفي شعر قرينَيهِ الفرزدق وجرير وغيرهم ممّا لدينا دواوينهم . فان عارضتَ اقوالهم على اقوالهِ المنسوبة اليهِ وجدتَ حالًا فرقاً عظيماً بين لغتهم ولغتهِ . فانَّ شعراء بني اميَّة لا يزالون في نظم قصائدهم يحذون حذو اهل الجاهليَّة وينطقون بنطقهم ويعبرون بتعابيرهم . ففي شعرهم بعض الخشونة الفطريّة التي لا تُرى في الشعر المنسوب الى يزيد بل تدلُّ سلاستهُ وانسجامهُ على تطوُّر اقرب من زماننا في عهد بني عبّاس . دونك بعض مـا

١) كذا في الاصل ونظنّ انَّ الصواب ان يُقرأ «يسرّ مودعٌ فيها»
٢) كذا والصواب حووهُ بالحاء.

أورد منها . قال في وصف الخمر وهو اجدر بأبي نوّاس :

ومُدامة صفراء في قارورة زرقاء تحملُهُ يدٌ بيضاء
فالشمسُ والحَبابُ كواكبٌ والكفُّ قطبٌ والزجاجُ سماء

وروى لهُ في الغزل وهو يُشعر برقّة ابي الوليد الانصاري :

أسرفتُ في الكِتمان وذاك مما دهاني
كتمتُ حبَّك حتّى كتمتُهُ كِتماني

ومثلهُ قولهُ واصطناعهُ ظاهر :

وقد كُلّلتُ إكليلاً من الياقوت ألوانا
وحولي سادةٌ مثلي عبيداً لي وغلمانا
فما يعظمُ في عيني عظيمٌ كانَ مَنْ كانا

فهذه الامثلة كافية ليحكم القارئ أتصحّ نسبتها الى يزيد بن معاوية . ونحن لا ننكر رقّتها . وانّما نشكُّ في اصلها ولا نظنّ أنّها لذاك القول عنهُ هناك :

والى ابي سُفيان يُعزى مولدي قرنِ المُشاكِلُ لي اذا ما أُنسَبُ

هيكل الزُّهرة في بيروت الرومانيّة

لحضرة الاب رينه موتر اليسوعي

ادخل مديرو متحف بيروت في معهدهم سنة ١٩١٩ مذبحاً من الحجر الكلسيّ الصدَفي وُجد في الباحة الممتدّة جنوبي السراية الكبيرة حيث شُيّدت بعد ذلك شركةُ السكّة الحديديّة «دمشق حوران وتوابعها» مستودعاً لسيّارات الاوتوموبيل . وكان وقتئذٍ كاتب هذه الاسطر اوّل من سبق واشار الى اصحاب الامر ما لهذا الاثر من عظم الشأن وكانت اذ ذاك ادارة الآثار والفنون منضمّة الى نظارة المعارف العموميّة في المفوّضيّة العليا